

تمظهرات صمود الشعب الفلسطيني تجاه العدو الصهيوني في

ديوان "التائهون" لمحمود حسن إسماعيل

Manifestations of the steadfastness of the Palestinian people
towards the Zionist enemy in the collection "The Lost" by
Mahmoud Hassan Ismail

محمود رضا توكلي محمدي *

* علي خالقي

* قائد شنيو عطية الجبوري

تاريخ النشر: 2024/12/31	تاريخ القبول: 2024/12/31	تاريخ الإرسال: 2024/04/06
-------------------------	--------------------------	---------------------------

المُلخَص

المقاومة هي الصمود والدفاع عن النفس والحياة ورفض الذل والاستسلام، وأدب المقاومة هو الأدب الذي يواجه الظالم ويدافع عن صيحة المظلوم ويحسّ الكوارث من قريب ويدرك بأنّه يجب عليه أن يدعو الشعب إلى الجهاد ضدّ أيّ عدوّ بصورةٍ واعيةٍ، ومن أشكال هذا الأدب فهو الشعر، وشعر المقاومة يعبر عن إيمان قائله بالشعب والثقة بقدرته على اجتثاث الظلم واليقيين بالانتصار وطلب الحرية للوطن وتحرير الأمة من نير الاستعمار والاحتلال. وبقي نداء الشعراء المقاومة قوياً في مواجهة الاستعمار وتحريك الجماهير على مواجهته. شكلت قضية فلسطين محورا مهما عند شعراء العرب، ويعدّ الشاعر محمود حسن إسماعيل من الشعراء المصريين الذين استفادوا من شعرهم في الدفاع عن فلسطين ونداءاتها المقاومة.

المؤلف المرسل: خالقي على (a.khaleghi@cfu.ac.ir)

* - جامعة فرهنكيان، طهران، ايران.

* جامعة فرهنكيان، طهران، ايران.

* جامعة فرهنكيان، طهران، ايران.

هذه المقالة تبحث عن مظاهر أدب المقاومة في مجموعة شعرية "التائهون" للشاعر المصري محمود حسن إسماعيل، وتقوم على منهج التوصيفي – التحليلي ووفقاً على هذا المنهج، قامت الدراسة على استخراج مظاهر أدب المقاومة في ذلك الديوان ثم تحليلها. إنّ هذه الدراسة بعد قراءة عميقة في ديوان "التائهون"، وصلنا إلى أنّ شعره يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان الفلسطيني، وقد خصص معظم اشعاره لمواجهة الحرمان والظلم والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني بالشجاعة والتضحية بالنفس لاسيّما في ديوانه "التائهون"، ومن أبرز نتائج البحث: الشاعر يتجسّد باللاجئين الفلسطينيين ومعاناتهم في المنفى، الدور العالمي لقضية فلسطين، الأمل بالتحريّر والمستقبل، الدعوة إلى الصمود ومكافحة ظلم الصهيوّني، الحنين إلى الوطن المدمّر، عدم التنازل أمام المحتلين، التشريد والإبعاد، صورة الأسرى الفلسطينيين في السجون والمعتقلات، كشف القناع عن وجه العدو الصهيوّني. الكلمات المفتاحية: المقاومة، الفلسطين، محمود حسن إسماعيل، التائهون، الصهيوّيون.

ABSTRACT

Resistance is steadfastness, defending oneself and life, and rejecting humiliation and surrender. Resistance literature is literature that confronts the oppressor and defends the cry of the oppressed. He senses disasters soon and realizes that he must call on the people to wage jihad against any enemy in a conscious manner. One of the forms of this literature is poetry. Resistance poetry expresses the writer's faith in the people, confidence in their ability to eradicate injustice, certainty of victory, the demand for freedom for the homeland, and the liberation of the nation from colonialism and occupation. The call of resistance poets remained strong in confronting colonialism and mobilizing the masses to confront it. The issue of Palestine was an important focus for Arab poets. The poet Mahmoud Hassan Ismail is considered one of the Egyptian poets who benefited from their poetry in defending Palestine and its calls for resistance. This article searches for aspects of resistance literature in the poetry collection "The Lost" by the Egyptian poet Mahmoud

Hassan Ismail. It is based on the descriptive-analytical approach and according to this approach, The study was based on extracting aspects of resistance literature in that collection and then analyzing them. This study is based on an in-depth reading of the collection "The Lost". We have come to realize that his poetry is closely linked to the Palestinian person. He devoted most of his poetry to confronting deprivation and injustice and defending the rights of the Palestinian people with courage and self-sacrifice, especially in his collection of poems, "The Lost". The most prominent search results are: The poet embodies the Palestinian refugees and their suffering in exile, the global role of the Palestine issue, the hope for liberation and the future, the call for steadfastness and the fight against Zionist injustice, Longing for the destroyed homeland, not giving in to the occupiers, displacement and deportation, the image of Palestinian prisoners in prisons and detention centers, unmasking the face of the Zionist enemy.

Keywords: Resistance, Palestine, Mahmoud Hassan Ismail, The Lost, Zionists

*** **

1-المقدمة

المقاومة هي التي ترفع الوعي الفكري والعقلي وتوقظ الشعب وتفتح اعينهم على الوقائع، وتشجّع الشعب على الدفاع عن وطنهم و التضحية في سبيله حتى الانتصار على الاعداء. وهي تحفظ هوية الشعب ومعتقداته أمام الاعداء. وهي إحدى وسائل الحياة في الدفاع عن نفسها، و اسلوبها في حماية ذاتها ضد كل عدوان يواجهها، مهما إتخذ هذا العدوان من اشكال، والمقاومة في الإطار البيولوجي، هي الحياة ذاتها، بل هي أسلوبها في حماية ذاتها من العدم، و هي نشاط انساني سام، ومشروع في الإطار الاجتماعي والسياسي، عبّرت عنه كلّ دساتير العالم، وقرّره ميثاق الأمم المتحدة و شرعة حقوق الانسان، وميثاق جامعة الدول العربية.(شكري،1971: 10) بعبارة أخرى المقاومة هي نشاط انساني اجتماعي يعلو فوق كل اشكال الانشطة الانسانية الإبداعية، ستنهضها الطاقات البشرية الكامنة في المجتمع،

لتتخذ شكل القوة الفاعلة و القدرة على حماية المجتمع، ومنظومة القيم التي يمثلها، و هي بذلك تتلاقى مع الفن الذي هو أحد اشكال الدّات الانسانية، في اجتماعيتها، في الدفاع عن نفسها، و هو وجه من وجوه نشاطها الإبداعي. إنّ الأدب الفلسطيني أسهم بشكل واضح في تعريف العالم بقدرة الفلسطيني على الإبداع والتميز بالمشاعر الإنسانية، والإطلاع والتمسك بالهوية العربية دون تعصب ودون بكائيات، أو تضخيم لحجم المأساة التي يعيشها الفلسطيني مطارداً من الأنظمة العربية وله دور كبير في بناء الوعي الوطني، وصناعة ثقافة الأمل والصمود، ناهيك عن ثقافة الانتصار، كلّ هذا يضع الأدب وامتداده الثقافي والمعرفي في موقعه الصحيح في قضية فلسطين، ومعرفة الدور المنوط به كونه مرتكزاً من مرتكزات الثقافة القادرة على إحداث تغيير مهم في رسم المشهد الفلسطيني، والأدب والشعر هما مدخل له أهمية كبيرة في حياة الأمم، ومكانة الشعر في تراثنا وهويتنا الثقافية، لأنّ الشعر فيها أحد صانعي الوجدان والفكر، وهو من المساهمين في بناء شخصيتها الحضارية على الدوام، كما أنهما يشكلان مدخلاً إلى بيان أهمية قضية فلسطين، ومنزلتها العظيمة في نفوس أبنائها وأبناء الأمة العربية والإسلامية، ففي الزمن الذي استبّح فيه الوطن، وتكالبت عليه قوى الاستعمار، ووضعت في دائرة الاستهداف منذ الاحتلال البريطاني في أوائل القرن العشرين الذي سلمه في منتصف القرن بعد ذلك إلى احتلال أشدّ خطورة وفتكاً وهو الاحتلال الصهيوني ، كان لابدّ للشعب "شعب الجبارين" أن يظل صامداً مصابراً، على الرغم من أن حالات الضعف التي تعيشها الأمة، وكان من الطبيعي أن يستنفر طاقاته وجهوده من أجل حالة استنهاض أملاً في يوم الخلاص والتحرر، لقد كانت الكلمة المقاتلة والمعبرة في طليعة هذا الاستنهاض، وشكلت القصيدة المعاصرة المتمسكة بعري الوطن لسان صدق عللاً شفاه المخلصين، وتحفظها الأجيال تسلمها إلى الأبناء إرثاً لا يتخلّى عنه بأي حال من الأحوال،

محمود حسن إسماعيل، شاعر مصريّ، ولد بمحافظة أسيوط سنة 1997م في مصر وتوفيّ سنة 1997م في الكويت. فقد أصدر ديوانه الأول وهو طالب سنة 1935م بعنوان

"أغاني الكوخ"، ونال جائزة الدولة في الشعر سنة 1965م. له دواوين كثيرة منها: "لابد" و"تائهون". (جمعة، 2009: 143) وديوانه "التائهون" الذي يكون حوالي سبعين صفحة، أكثر أشعار هذا الديوان تدور حول موضوع فلسطين والمقاومة فيها ضدّ عدوّها الصهيوني. يجدر بأهميّة دور الأدب والشعر في هذا الاستنهاض للشعب الفلسطيني، وكان لهذا الشاعر دور مهمّ في إيقاد شعلة المقاومة وتحفيز الشعب على الصمود في أرضه والتمسك بها، وإذا كانت فلسطين قد واجهت محتلاً أدمى أحلامها في دير ياسين، وشوّه فجرها في قبية وكفر قاسم، فإن الهوية الثقافية الفلسطينية قد واجهت حرباً لا تقل ضراوة عن الوجه الآخر المعروف لها، وإذا كان المؤرخون قد عرفوا عدد الشهداء في الكثير من المجازر التي ارتكبتها الصهاينة في طول فلسطين وعرضها، فإن "الكتب الشهيدة" لم يتم حصرها حتى الآن، وهكذا تعيش "الثقافة الفلسطينية" والشعر جزء منها مواجهة عنيفة مع محتلّ شرس يواصل حربه على المثقف الفلسطيني منذ نكبة الأمس وحتى حصار اليوم. يستنكر الشاعر محمود حسن إسماعيل مواقف العرب في صمتهم أمام المجازر الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني ويحاول استنهاض العزائم وينبّه شعبه بأن الصمت والغفلة والنوم مؤامرة أمام الاحتلال الذي هدم بيوتهم واغتصب أراضيهم وقهرهم من وطنهم؛ وبالصوت الرفيع ينادي أبناء شعبه بالثورة والنضال أمام المحتلّين والعدو الإسرائيلي ويدعوهم إلى الجهاد ضدّ السلطة في بلادهم. وفي أشعار أخرى يعبر عن صمود الشعب الفلسطيني ويعتقد بأن شعب فلسطين يبقون ويصمدون أمام المصائب، ولكن لا يستسلمون بالذلّ والهوان. يستمرّ الشاعر في تصوير معاناة الإنسان الفلسطيني ويتبين ملامح معاناتهم تحت الحكم الاسرائيلي، فيصور الممارسات الإسرائيلية في طرد الإنسان الفلسطيني عن بلاده وأرضه بشقّ الوسائل والسبل ويتحدّث عن الأعمال الشنيعة التي ارتكب العدو الصهيوني والاحتلال في أرضه وفي حق شعبه، وعن ظلم الاستعمار والاحتلال الذي قهره وطرده من أرضه إلى أرض آخر وأجبره على السفر، السفر الذي لم يكن بالرغبة بل كان بالإجبار. الشاعر حمل اعباء القضية الفلسطينية، وقد عالج في اشعاره فواجع المأساة التي يكابدها

اللاجئون، وشعره أقرب إلى صدق التجربة والإصالة في تصوير صراع الانسان الفلسطيني . فصوته يرتفع ويصور حبه ورفضه، رغم أن صوته الشعري لم يصل إلى كثير من العواصم العربية الكبيرة، ذلك لأنه يعيش مغترباً منذ بداية حياته الأدبية. المنهج الذي قام هذا المقال بتتبع خطواته هو المنهج التوصيفي – التحليلي وفي الخطوة الأولى يعالج البحث بمجموعة شعرية "التائهون" اعتماداً على الأسس النظرية للبحث، هي مظاهر المقاومة؛ ولسبب كثرة أشعار الشاعر والتي طبعت في ثلاث مجلدات، اخترنا الديوان الثامن من دواوينه باسم "التائهون؛ هذا الديوان كانت حوالي مئة صفحة وأكثر من عشرين قصيدة أكثرها في القضية الفلسطينية وصدى مقاومتها أمام العدو الصهيوني .

2-1. خلفيّة البحث

إنّ عالم محمود حسن إسماعيل ثريّ قد تناوله الباحثون والمحققون، فتعدّدت البحوث والدراسات التي درست أدبه وآراءه . ولكن بالنسبة للدراسات المتعلّقة بأشعاره نذكر نماذج من هذه الدراسات:

1. مصطفى السعدني (لاتا) في كتاب له عنوانه «التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل»، درس فيه مكانته الشعرية وأنواع الصورة في شعره، وقد تحدثت فيه عن ملامح البيئة الريفية، ولامح الطبيعة الريفية في شعر محمود حسن إسماعيل، وقد تناولت الصور البيانية من (تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية) في شعر الشاعر بطريقة جمالية فنية.

2. فرشاد جبروتي (1389ش) في أطروحته عنوانها « رمز النور في ديوان قاب قوسين» لشاعرنا محمود حسن إسماعيل والتي نوقشت في جامعة العلامة الطباطبائي، توصّل إلى أنّه تأثر من الطبيعة خاصّةً النور الذي يعتمد عليه الشاعر وجميع الكائنات، ويرى أنّ العالم لا معنى له إذا لم يكن هناك نورٌ.

3. محمد عبد الحكيم عبد الباقي (1993م) درس في بحثه عنوانه « التصور الإسلامي في شعر محمود حسن إسماعيل » الأبعاد الدينية في شعر شاعرنا منها علاقته بالله والإنسان والكون، واستنتج أنّ حقيقة التصوّر الإسلامي عند محمود حسن إسماعيل نبعت من عقيدته الإسلامية الخالصة.

-حكيمة جمالي نوروزاني (1394ش) في أطروحتها بعنوان «بررسی ارتباط بینامتنیت با قرآن کریم در شعر محمود حسن إسماعیل» (دراسة علاقة التناسّ مع القرآن الكريم في شعر محمود حسن إسماعيل) والتي نوقشت في جامعة طهران الحرة، درست فيها الطالبة التناسّ القرآني بأنواعه في شعر هذا الشاعر. تروم هذه الدراسة أن تدرس عالقة النص الشعري لدى محمود حسن إسماعيل مع النص القرآني.

-جمال طالبي قره قشلاقي (1399ش) في مقالة له عنوانها «تجليات الخطاب الصوفي ومكوّناته في شعر محمود حسن إسماعيل (مجموعة "صوت من الله" نموذجاً) والتي طُبعت في (دراسات في العلوم الإنسانية، ش27)، يبحث عن مكونات الخطاب الصوفي في شعر محمود حسن إسماعيل ويدرس إشراقاتها ورؤاها من خلال مجموعته "صوت من الله". وأهمّ النتائج التي توصّلت إليها دراسته هي أنّ الشاعر وظّف في ديوان "صوت من الله" بعض أفكار الصوفية منها وحدة الوجود، والفناء في الذات الإلهية، وانعكست هذه الرؤى في بناء قصائدها وتراكيبها، فحوّلها إلى قصيدة رؤيا صوفية حلّق الروح فيها في عوالم جديده وتخلص الجسد من ماديته .

-على الله ربيع محمد أحمد (2014م) في مقالة له عنوانها «ظاهرة تماثل الأبنية في شعر محمود إسماعيل» طُبعت في مجلة (حوليات آداب عين شمس، المجلد42)، بحث فيها عن الأبنية المختلفة في شعره . هذه الأبنية التركيبية في شعره على مستويين: المستوى الأول: يمكن أن نطلق عليه التماثل اللفظي للدبئية حيث تتوزّع الأبنية وتتشابه تشابها لفظياً، والمستوى الثاني يمكن أن نطلق عليه التماثل المعنوي، حيث تتجاذب فيه الأبنية حسب المعاني فيستدعي بعضها بعضاً في نحوٍ من الإبداع والاتساق.

-آمال يوسف سيد يوسف (2017م) في مقالةٍ عنوانها «جماليات التكرار في شعر محمود حسن إسماعيل» طُبعت في مجلة جامعة الأزهر (حولية كلية اللغة العربية)، يهدف الباحث فيها إلى الكشف عن ظاهرة التكرار في شعر شاعرنا هذا والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنفسية الشاعر وبناء حياته.

-مراد عبدالرحمن مبروك (2018م) في المقالة التي عنوانها «الهوية والتشكيل المعماري والجيوبولتيكي للنصّ الشعري عن محمود حسن إسماعيل» (طُبعت في الهوية والثقافة) يبحث عن العلاقات السياسية الدولية على ضوء الأوضاع والتركيب الجغرافي في أشعار الشاعر.

فعلى هذا الأساس، أنّ دراسة أدب المقاومة في شعر محمود حسن إسماعيل لم تُدرس من قبل في ضوء دراسة مستقلة إلا إشارات موجزة ضمن بعض البحوث، وهذا ما نجد مكانه لايزال فارغاً بين البحوث والدراسات حول هذا الشاعر.

2. الإطار النظري للبحث

1-2. محمود حسن إسماعيل

ولد محمود حسن إسماعيل بقرية النخيلة في أبوتيج بمحافظة أسيوط في 1910/7/2م. والتي غدت حاسة الجمال والانفعال داخله وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بين مدارس أسيوط والقاهرة، شَبَّ على حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل من قريته إلى القاهرة والتحق بكلية دار العلوم التي كانت حينذاك تسمّى " دار العلوم والأدب " وتخرج منها عام 1936 م. حيث حصل على الليسانس في العلوم العليا . وقد اكتسب ثقافة واسعة وأتيح له من التجارب ما لم يتح لزملائه . كان محمود حسن إسماعيل مدرسة متميزة من مدارس الشعر. تخرج منها العديد من الأسماء اللامعة في عالم الشعر، فعمل أول ما عمل محرراً بالمجمع اللغوي ولم يلبث أن انتقل مستشاراً ثقافياً بالإذاعة المصرية وعمل فيها عدة سنوات . سافر بعدها في أواخر السبعينات إلى الكويت بعد أن أحيل إلى التقاعد حيث عمل مدة سنتين أو ثلاثاً . إنه شاعر كبير متميز له لونه الشعري الخاص به، وقد أثار شعره الكثير

من الجدول. (جمعة، 2009: 143) أختير عضواً بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب منذ تكوينها. واختير عضواً بلجنة النشر والدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى أيضاً. عمل بمجمع اللغة العربية محرراً قبل التحاقه للعمل بالإذاعة المصرية عام 1944 م. حيث تدرج بالعمل على الثقافة بالإذاعة حتى عين مستشاراً وحقق قامة متوازنة إبداعياً وعلمياً ليصبح اسماً وعلماً ورمزاً من رموز مصر.

فأشاد به بعض النقاد باعتباره «شاعراً ذا أبعاد عميقة، وهاجمه آخرون باعتباره شاعراً غامضاً بعيداً عن أرض الواقع. يجسد أخيلة مغرقة في رمزية وقد تشكل وجدان محمود حسن إسماعيل بكل صور الطبيعة الجميلة التي شاهدها في قريته النخيلة وبكل أحزان الفلاحين البسطاء ومعاناتهم، أولئك الذين نشأ بينهم وعاشهم وتأثر بهم فتشرب كل هذه الصور التي عكسها في شعره طوال حياته. كما يقول الشاعر نفسه». (محمود صالحة، 2009: 41) أما عن تجربته الشعرية فقد قال فاروق شوشة: «يدهشنا في شعر محمود حسن إسماعيل تلك الرؤية الكلية للإنسان والحياة، إن التجارب الشعرية عنده تستمد قيمتها وغناها من ذلك الإطار الأكبر الذي نطالعه فيها، فيبدو الجزء في إطار الكل ...، هو شاعر التجارب الكبرى، شاعر الرؤى الكونية الشمولية، شاعر ما وراء الجزئي والمنعزل والمنظور» (يسر، 2003: 154) من دواوينه الشعرية: أغاني الكوخ، 1935، نار و أصفاد، 1959، التائهون، 1967، هدير البرزخ، 1972، رياح المغيب، 1993 م.

3. الإطار التطبيقي للبحث

المظاهر في أدب المقاومة تعتبر مجموعة من الصفات التي تظهر في هذا الموقف، وعندما يتحدث عن المظاهر في نص بشكل عام فهي تكشف السمات البارزة للنص وهذه المظاهر عامة وليست في إطار شعر شاعر. فيما يلي ندرس بالتفصيل أهم المظاهر لأدب المقاومة في ديوان: التائهون" لمحمود حسن إسماعيل:

1.1. قضية فلسطين

حينما نتحدث عن شعر المقاومة، سرعان ما تتبادر إلى الأذهان قضية فلسطين والمقاومة فيها؛ إذ إنها تُعتبر القضية المحورية والمفصلية ليس للعرب فحسب إنما

للمسلمين بأسرهم، لكنّ الذي يتوجّب قوله هو أنّ شعر المقاومة ليس مقصوراً على فلسطين ذلك أنّ الأديب المسلم يعيش إلى جانب المأساة الفلسطينية مآسي السياسة والاجتماع المتمثلة في الاستبداد، والفساد، والبطالة، والفقر، والجهل التي تعاني منها بلاده وتتألم منها. لذلك ينبغي لنا أن نقول في تحديد مفهومه بأنّه «يُطلق على جميع الإنتاجات الأدبية نتيجة ظروف كالاختناق، والاستبداد الداخلي، وفقدان الحريات الفردية، والجماعية، واللاقانونية، واحتلال الأراضي، ونهب الثروات الوطنية، والقومية.» (سعدون زاده، 1388: 15) فلسطين مهد الحضارة القديمة، قضية فلسطين هي قضية كلّ العرب ولم تنل قضية وطنية أو عربية من اهتمام الشعراء ما نالته قضية فلسطين، وتحتلّ فلسطين مكان الصدارة من اهتمام الشعراء. فلسطين ليست بقعة جغرافية فقط وعلى الرغم من صغر مساحتها محملة بتراث من النضال عبر سنوات طويلة، وهذا هو شعبيها يواصل المقاومة أمام الظلم والاحتلال وتحقيق النصر على الغزوة الصهيونية والاحتلال. «كانت القضية الفلسطينية التي ما زلنا نعيش فصولها وآثارها المأساوية قتلاً وقصفاً ودماراً وإبادة منذ سنة 1948م حتى يومنا الحاضر هي المحرك الأول للهمم العربية والباعث الرئيسي إلى كل تغيير حصل في شتى انحاء الأمة العربية. فلقد شعر الانسان العربي عند ضياع فلسطين وطرد شعبها من دياره وممتلكاته بقوة الضربة التي قضت على أهم شيء يمثل انسانيته، ألا وهو عنصر الكرامة والشرف والعزة الذي داسته الأقدام الهمجية عندما مرّغت في التراب تاريخ أمتنا المشرق والحافل بالنصر والنضال والدفاع عن الحق والانسان. إن مأساة الشعب الفلسطيني المشرد هي مأساة الحرية في كل مكان وزمان، ولذلك فقد تصدرت هذه المأساة واجهة الاحداث السياسية العربية والدولية، فمنذ وقوع الكارثة حتى يومنا الحاضر» (قميحة، 1981: 206-205) تدخل فلسطين في كل شأن من شؤون الاقطار العربية وقضية فلسطين لا تنسى وهي أمّ قضايا العربية فكم تغنى الشعراء بفلسطين وهي قضية بلدهم ونظموا حول هذه القضية وعن مأساتها ومعاناتها.

«إنّ القضية الفلسطينية قضية دامية ومؤلمة ساكنة في كل قلب عربي، وخاصة الذين

خدموا قضية أمتهم العربية بشعرهم الملتزم والكلمة الأمانة الصادقة، وحملوا في نفوسهم شحنات الرفض والتمرد على العدو وظلمه. إن الشعر شكل من أشكال الثقافة وسلاح من أسلحة المناضلين، والشاعر العربي المعاصر في الوطن العربي أكد حضوره وفعاليته على الساحة الأدبية وعلى الساحة النضالية، إن جو شعرائنا الشعري هو عالم المأساة الفلسطينية المتمثل في الاقتلاع والنفي من فلسطين والمعاناة اليومية خارجها، فجذلية الصراع الفلسطيني مع اعداء الأمة العربية لا تعرف السكون» (بلمشيري، 2009: 3-4)

قضية الفلسطينية هي قضية شعب يجاهد في سبيل تحرير أرضه ووطنه وإعادة الحرية إليه، وطرد الغاصبين والمحتلين من بيته. يتوحد تراب الأرض الفلسطينية مع روح الشاعر محمود حسن إسماعيل التي هي ذاته روح الأمة، وتتجلى العلاقة العضوية التي تشد المرء إلى أرض وطنه. فتغدو روحه امتداداً لتراثها، وكيانه قطعةً منها، والشاعر يعود مرة بعد مرة بتكرار كلمة "فلسطين" ليؤكد العلاقة الوثيقة التي تربط بين ذاته وبين فلسطين وما يتصل بها من هوية الشعب وكيانه وحضارته وقيمه:

فلسطين جرحٌ بصدر السحاب

وحقدٌ يؤذّي الرّبي والهضاب

ودقٌّ يضجُّ على كلّ باب

سمعتُ به صولة الزاحفين

تذيب الأسى من جباه السنين

وصوت الجبابرة القادمين

تردّده شهقات التراب

وتشدّوبه خيمة اللاجئين!

فلسطين في الأرض كبرجٍ جريح (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 25)

الشاعر في قصيدته السابقة يعلن حبّه لفلسطين بصراخات عميقة واحتجاج دائم ضدّ

الاضطهاد والاحتلال ويشبه فلسطين بجراحة فوق السحاب وحقدٌ وغضبٌ شديد من الغاصبين ودقٌّ يزلزل كل باب؛ وبين أن حبه صادق وظلٌّ ثابتاً بعدم القبول للرفض، وظل صموداً مع مرّ الأيام على حبه.

القضية الفلسطينية هي التي شغلت وجدان الشعراء وشعراء الفلسطينيين كلهم محبّون للشعب الذي يواصل الجهاد والكفاح والمقاومة من أجل تحرير الوطن المحتلّ ولا يستسلم للفشل. لقد كان الشعراء منذ حلول النكبة وحتى الآن أول من دقّوا جرس الخطر ورفعوا الصوت عالياً من أجل أن تستيقظوا الأمة العربية على هذا الخطر الذي يهدّد كيائها وحرّيتها واستقلالها. «إنّ قضية فلسطين ليست مجرد مشكلة قومية، على الصعيد العربي، أو إنها مشكلة اجتماعية، بالنسبة لآبناء فلسطين، وإنما هي مأساة إنسانية عامة، هي مأساة العنصرية، أكبر وصمة عرفها التاريخ الحديث، لذلك أتصور فلسطين دائماً نبعاً لا ينضب من الأفكار والتجارب التي لا تنتهي» (شكري، 1991: 81). الشاعر في قصيدة طويلة في ديوانه (التائهون) على عنوان (فلسطين)، يقول بأنّ تحرير فلسطين من غاصبيها والثأر لها كانت من أمنياته في حياته:

سيظلّ ينهشُ في عُروقي ثأرها

حتى تُكَبَّرَ للصباح ديارها

حتى يعودَ الليلُ فوق تُرابها

أشلاء ليل، شبّ فيه نهارها (حسن اسماعيل، 2008، مج 3: 27)

مسئلة فلسطين ترجع جذورها إلى غابر الزّمن ولا يعرف التاريخ مأساة مثل هذه المأساة، لهذا الشعراء يرثون في آثارهم فضائح هذه المأساة ويبينون النكبات التي قد تعرض بها الشعب الفلسطيني. فالشاعر محمود حسن إسماعيل في أشعاره يعبر عن مشاعره بفلسطين ويخاطبها بأرض الانبياء ومهد الأديان، ويلعب دوراً كبيراً في إيقاظ الوعي وإيقاظ عيون شعب فلسطين إلى هذه الجرائم بالوحدة والاتحاد الشعبي:

أَرْضُ النُّبُوءَاتِ الَّتِي لَوْلَا الضَّحَى

مِنْ كَفِّهَا ، طَمَسَ الْعُقُولَ غُبَارُهَا

كَانَتْ مَصَابِيحُ الْوُجُودِ... وَظُلْمَةٌ

في الغرب يصخبُ كالخِضَمِّ مَدَارُهَا (حسن اسماعيل، 2008، مج 3: 27)

يعتقد محمود حسن إسماعيل بأنَّ ففضية فلسطين ليست قضية أرض فحسب بل هي أيضا قضية انسان وشعب وأمة. لقد كانت القضية الفلسطينية الجرح الذي أشعل الشرارة في وجدان الأمة العربية وحمل الفلسطيني السلاح في كل مكان من أرض الوطن ليغسل بالدم العار والذل والمهانة التي ألحقها المستعمر بشرف الوطن وحرية المواطن. لقد أحبَّ الشاعر فلسطين بكل مشاعره وعواطفه وأحاسيسه، من أجل ذلك كان شعره شعلة مضيئة يوقظ النائمين من نومهم، وغفلتهم ويذكر بحقهم المغتصب. فيتحدث الشاعر عن فلسطين ويعلن نهاية عشقه بها وإنه يفدي نفسه وكل وجوده في سبيلها وسمَّها بـ (أخت العرب):

مَهْدَ الْبَطُولَاتِ أَرْضِ الْعَرَبِ

أَرْضُ الْعُلَا مِنْ قَدِيمِ الْحَقَبِ

ضَجَّتْ مِنَ الثَّارِ نَارُ الدِّمَاءِ ...

هِيَ نَشِيقُ إِلَيْهِ اللَّهَبِ

رَاجِفِينَ عَائِدِينَ الْحَى

رَافِعِينَ صَوْتَنَا إِلَى السَّمَاءِ

هَزَّتْ فِلَسْطِينَ حُرَّ النَّدَاءِ

هِيَ وَلَبَّيْكَ أختَ الْعَرَبِ! (م.ن، مج 3: 64)

في جانب آخر إن مدينة القدس الشريف تتمتع بمكانة خاصة في شعر محمود حسن

إسماعيل وقد تكررت هذه المفردة ذاتها وأسماءها الأخرى مثل «أورشليم» و «بيت المقدس» و «مهبط الرسل» عدة مرات في ديوانه.. من جانبٍ آخر نرى شاعرنا يخاطب القدس بكلّ حماسة وشعور فيقول الشاعر في قصيدة «قومي إلى الصلاة»:

وعادت الطيورُ في المساء

فلم تجدْ في القُبّة الضياء

ولا صدَى الترتيل والدعاء

فهزّت الأوتارَ بالنداء:

يا "قدس" يا حبيبة السماء

قُومي إلى الصلاة

وباركِ الحياة ... (م.ن: مج 3: 9)

الشاعر في حالة مملوءة بالحزن والألم للقدس وفي تصوير من نداء الطيور فوق هذا المكان المقدس، يخاطب القدس فيقول، يا قدس، يا محبوبنا في سماء الله، قُمي إلى إقامة الصلاة واجعل حياتك مباركة. نظرة الشاعر إلى القدس كنظرة العاشق إلى المعشوق.

2-3. اللاجئين الفلسطينيين بغزة

لا يختلف اثنان في أن نكبة عام 1948م التي حلّت بالشعب الفلسطيني كانت كارثةً فادحة، إذ كان من نتائجها تمزق الوطن، واغتصاب الأرض، وتشريد الأهل عن أوطانهم ولجوؤهم إلى الخيام البائسة والكهوف المظلمة، ومعسكرات التشريد داخل الوطن وخارجه، يذوقون الذل والقهر والمهانة، يواجهون مصيراً بائساً وحياة قاسية في ظل واقع جديد مؤلم. في سنة 1967م حدثت هزيمة السادس من حزيران، وفيها استكمل العدو الصهيوني احتلال ما تبقى من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وولدت من رحم النكسة ظاهرة النازحين الذين طردوا من أرضهم إلى دول عربية مجاورة، وهاموا على وجوههم في حالة من الضياع والتشريد لم يسبق لها مثيل، وحرّم من كان خارج الوطن

من العودة إليه، وهكذا نشأ وضع مأساوي جديد، لم يكن الفلسطينيون النازحون يتصورون حدوثه، وما زال المحتل الغاصب يمارس بحق المواطنين أبشع صور المهانة والإذلال، وما زال يمارس سياسة الإبعاد القسري عن الوطن حتى وقتنا الحاضر.

واكب الشعراء النكبة الأولى عام 1948م، وهزيمة 1967م، وما أعقبها من تشتت لأبناء الشعب الفلسطيني وتوزعه خارج الوطن وداخله وقيام كيان دخیل مكانه، فوصفوا مأساته ومظاهرها المتعددة؛ ورسوموا مشاهد مفعجة لعملية الرحيل والهجرة التي مرّ بها الإنسان الفلسطيني اللاجئ، وتحدثوا عن حياة المشردين في الخيام في ذل وقهر، وجسدوا معاناة اللاجئين وعذاباتهم في المنافي وبلاد الشتات، وصوروا المذابح والمجازر التي ارتكبتها العدو الصهيوني بحقهم في سبيل تخويفهم وإجبارهم على ترك أرضهم وديارهم، ليحل محلهم غرباء مغتصبون من شذاذ الأفاق، وهكذا فجرت المحنة التي تعرض لها أبناء الشعب الفلسطيني قرائح الشعراء، وأنطقت ألسنتهم، وولدت لديهم أساليب ورؤى شعرية جديدة، وصوراً دامية معبرة، فليس ما يصهر النفس كالألم.

استولت ظاهرة اللاجئين على المشهد الفلسطيني، وكانت الإشارة إلى مأساتهم تبدأ بعناوين المجموعات الشعرية، فهذا أبو سلى يصدر ديوان "المشرد"، أما يوسف الخطيب، فإن عنوان مجموعته المميزة المبكرة، هو "عائدون". ولعل أول مجموعة فلسطينية تنطلق من مأساة اللاجئين، كانت للشاعر هارون هاشم رشيد، وهي "مع الغرباء"، وقد صدرت عام 1954م، وهناك مجموعات تشير عناوينها إلى الجرح الفلسطيني بصورة مطلقة، مثل "فلسطين على الصليب" للشاعر معين بسيسو، و"حيفا في سواد العيون" للشاعر حسن البحيري، و"كلمات فلسطينية" للشاعر حسن النجمي.

«للمخيم في ذاكرة الشعب الفلسطيني دلالات كثيرة، إنه تضاد القضية الفلسطينية منذ النكبة عام 1948م، و حتى يومنا هذا، إنه تضاد الأغلبية العظمى من أبناء الشعب الفلسطيني، فتحت صفيحه اللاهب القارس عانى حياة التشرد والجوء، وتحتته كان في صدره وعقله بركاناً، وتحتته كان الصمود والنضال، والأمل بالتحرّر، والاستقلال، و

المستقبل الواعد الآمن» (الحبازي، 2009: 227)

ما أصعب حياة اللاجئين الفقراء! حياة صعبة في المخيمات: فقر، وبؤس، و شقاء، و لا مأوى، و شعور بالغربة؛ و كأنهم في هذا الكون بلا اصحاب و لا احباب. فيقول الشاعر " المتوكل طه ":

وَ أَقُولُ: هَذَا الرَّمْلُ يَكْذِبُ

لَنْ أَصْدَقَ غَيْرَ أَوجاعِ الْفَقِيرِ الصَّادِقِ الثَّوْرِي

في ليلِ الْمُخَيِّمِ وَالرَّصِيفِ (عف، 2008: 79)

قضية اللاجئين الفلسطينيين في المنفى، كانت من القضايا الهامة التي تعرض لها الشعر الفلسطيني بعد نكبة عام 1948م، ولعل مشاعر الغربة واللجوء والتشرد والفقر والجوع والألم والعذاب واليأس والضجر والفراق واللوعة والحنين والمناجاة والوحدة والحزن والأسى والشوق واللهفة والانتظار وغيرها، من المشاعر التي كان يتحسسها الشاعر الفلسطيني بعد خروجه من وطنه، ولقد عانى الانسان الفلسطيني الكثير من الألم والتشريد وتركت المأساة في نفسه جرحاً لا يمكن أن يندمل؛ فهو يعاني دائماً غربة وضياًعاً. وكان على الانسان الفلسطيني في منفاه أن يعاني الفقر والجوع وحر الصيف وبرد الشتاء ويظل الحزن رفيقاً للإنسان الفلسطيني في منفاه، ففي ظل هذه الحياة الكئيبة كان على الشعراء أن يؤديوا بشعرهم مهمات جديدة لفلسطين المشرد المقهور، وأن يحسوا آلام أنفسهم وآمالها؛ كما يصورها محمود حسن إسماعيل بقوله:

أنا غريبانٍ ساقَ الظلمِ أذْمَعْنَا

إلى فجاجٍ بها يَسْتَوْجِشُ الْقَدَرُ

في رحلة لا تَعِي الأَيَّامُ وَجْهَتَهَا

ولا يتاحُ لها حِلٌّ ولا سفرٌ

ولا ديارٌ ولا أهلٌ ولا سكنٌ

ولا حياةٌ ولا عيشٌ ولا عُمرُ (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 41)

يصوّر الشاعر ما يستصرخ به لاجيء من عرب فلسطين الأحرار أخاه العربي من وراء خيمته؛ يستصرخ بكلّ مشاعره وعواطفه ما ابتلى به من الآلام والمصائب العظيمة:

أخي قد مزّقت ريحُ الدّجى بَيْتي وأَيامي

وساقتني على الأرضِ بهذا الهيكل الدامي

وهذا الشبح المطرود في هذا الأسى الطامي

ينادي: أين ملك الله تخبطُ فيه أقدامي؟

وأين الأرضُ تحمّلني وتدفن بعض آلامي؟

وبعض خطاي في هذا الدّجى المتفجّر الهامي (م.ن، مج 3: 46)

رسم الشاعر بعضاً من ألوان المعاناة والعذاب التي اكتوى بناها اللاجئين الفلسطينيون، فهم يعانون التشرد والشتات، ويكابدون الحصول على مأوى، فلا يجدون غير الخيام البائسة، والكهوف المظلمة، يأوي إليها من ضاقت به سبل الحياة بعد أن كان ناعماً منعماً في وطنه. أوحّت هذه الصور الدموية بحجم المذبحة وهول المجزرة التي ارتكبت بحق أناس أبرياء من نساء وأطفال وشيوخ، وقد وظف الشاعر في رسم لوحته الفنية أساليب تعبيرية متنوعة من: صور نابضة بالأرض، وألفاظ موحية مثل: الشبح المطرود، الهيكل الدامي و... الخ.

3-3. الدعوة إلى كفاح الصّهيون

بعد مرور عشرين عاماً على نكبة فلسطين عام 1948م يلتقط الفلسطينيون أنفاسهم فمن محنة الاغتراب والتشرد إلى مرارة المعاناة وقسوة الظروف، إلا أنهم لم يفقدوا الأمل في العودة منتظرين وثبة عربية تساندتهم ضد الاحتلال. فقد كان الفلسطيني يعيش واقعاً مأساوياً، فرضه عليه الاحتلال الغاشم، فجعله بين مشرد لا وطن ولا أرض، فهو يقتل ويبعد ويسجن، ويذوق المعاناة الكثيرة، ومع ذلك يرفض ممارسات الاحتلال. «بإقرار صك

الانتداب من قبل عصبة الأمم، الذي عرضته بريطانيا على مجلس عصبة الأمم في الرابع والعشرين من تموز 1922م، والذي يكاد يكون صورة عن المشروع الذي كانت الجمعية الصهيونية قد عرضته على مؤتمر الصلح في شباط 1919م، تكتمل ملامح المؤامرة الانجليزية الصهيونية على فلسطين، لتتخذ شكلاً رسمياً». (زعتر، 1986: 59)

كم من شاعر قدم روحه فداء لوطنه ولم يسكت عن الظلم والاحتلال، بل كان يقاتل ويؤمن بأن دور الكلمة في المعركة يوازي دور الرصاص.

كان الكيان الصهيوني يعتبر المسئول الأول عمّا يعاني الشعب من جوع وبؤس، والمحتلون هم سبب كل المصائب والمشاكل التي أصيب بها المسلمون الفلسطينيون في الأرض المحتلة، والشعراء يلومون الزعماء ويندد بخياناتهم الذين يؤثرون مصالحهم على مصالح أمتهم ويسببون هزيمتهم وفشلهم. بدأ كفاحهم ضد الصهانية المحتلين يوم دنس المحتلون أرض الوطن، وتصدّى لهم أبطالاً من أبناء الشعب في معارك كثيرة. يعرف الشعراء أعدائهم جيداً، كما يقول إبراهيم طوقان مخاطباً قومه:

يا قومُ لَيْسَ عَدُوُّكُمْ مِمَّنْ يَلِينُ وَيَرْحَمُ
يا قومُ لَيْسَ أَمَامَكُمْ إِلَّا الْجَلَاءُ فَحَرِّمُوا

(طوقان، 1997: 343)

محمود درويش يعرف أمريكا كعدو خارجي معبراً عنه بالطاعون كما يقول في ديوانه:

وَ آمَرِكا هِيَ الطَّاعُونُ

وَ الطَّاعُونُ آمَرِكا

وَ آمَرِكا لِآمَرِكا (درويش، 2002، مج 1: 65)

إنّ الكيان الصهيوني «هو الدولة التي تشكّل خطراً على السّلام العالمي؛ سياستها سياسة التوسّع والتحكّم والتكاثر والاعتداء، قد شرّد الشعب الفلسطيني من أراضي آبائه وأجداده وقد احتلّ لبنان بهجوم غاشم غادر دون الاهتمام بالمسائل الانسانية والاتفاقات الدوليّة؛

سريع البطش بالأطفال والأبرياء والشَّعب العزَّل، قد حشد قواته في البحر والجو وهو
يتهرَّب من مواجهة الابطال في ساحة الحرب». (زيني وند، 1390: 294) ففضية السَّلام لا
تسمن ولا تغنى من جوع إذا الصَّهانية يمكرون ويخدعون؛ بل السلاح الكفاح والمقاومة هي
السلاح الوحيد، وبذلك سيحرَّر الأعراب يوماً أرضهم المقدَّسة:

ويملكُ العربُ الأحرارُ أرضهمُ

واللهُ أعظمُ... إنَّ الحقَّ منتصرُ! (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 45)

يشير الشاعر حسن إسماعيل إلى معاهدة (بلفور) وخيانة بريطانيا في حقِّ
الشعب الفلسطيني؛ وقد كان دعم المستعمر الغربي للاحتلال الصهيوني في وعد بلفور من
أبرز الجوانب التي ركَّز عليه شعراء المقاومة. «وقد كان بالمقابل لوعد بلفور المشؤوم الأثر
البالغ في بثِّ الروح الوطنيَّة في نفوس أولئك الشعراء». (الهشيم، 2011: 87) وعد بلفور هو
عبارة عن بيان بريطاني صدر في نوفمبر عام 1917م وقد اشتمل غي نصِّه على تقديم
بريطانيا دعمها لليهود لإقامة وطن قومي لهم في دولة فلسطين :

يا يومَ "بلفور" وشؤمكَ خالدُ

ما ضرَّ لو أخلَفْتَ هذا الموعدا ؟!

عاهدتَ أعزالَ الجسومِ سلاحهمُ

ما كان إلَّا الحقُّ صاحِ مقبِدا (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 60)

قد عبر الفلسطينيون عن رفضهم للمحتل بالمقاومة بالسلاح تارة، وبالحجر تارة، وتارة
بالقلم، وقد سجَّل شعراء العرب المعاصرون تلك المقاومة في أشعارهم. حسن إسماعيل
يدعو إلى المقاومة قائلا:

من كلِّ نبضٍ في دمانا ثائرٍ

وكلِّ عزمٍ في خطانا قاهرٍ

وكلِّ لمحٍ من جبين ثائرٍ

شدّت قوانا وحدةً المسير

على النضال كبرت أيماننا

وللفداء أقسمت أعلامنا (م.ن، مج 3: 77)

الجهاد لتحرير الوطن ودعوة الشعب إلى الاتحاد والتكاتف هو من الأمور التي اهتم بها أدب المقاومة وركّز عليها؛ ومن أهمّها هي مسألة الدفاع والاستقامة بحفظ كيان الأمة وتحقق أمنيته، التحرر من قيود الذلّ وسيطرة الاستعمار والاحتلال. فالشاعر يبين في هذه الأشعار بأنّه يحارب بالسلاح في سبيل وطنه والدفاع عنه ويقاوم أمام الظلم وتحدي الطغيان والسلطات الإسرائيلية ويدافع بعزمه وإرادته القويّة عن وطنه، ويدعو شعبه وأمتّه للحضور في ساحة المعركة والدفاع عن الوطن بأيّ طريق يمكن وأن يدافعوا عن أرضهم، وعرضهم، ومجدهم، وشرافتهم أمام المحتلين.

الشاعر يرسم الدفاع مقابل الظلم والعنف ويفرض الغضب والقساوة والغزو والاحتلال من قبل العدو الغاصب على شعبه المظلوم، ويثير الهمم ويشدّ العزائم ويدعو إلى المقاومة والصمود:

إلى الأمام ... خطونا... إلى الأمام

إلى الأمام ... زحفنا... إلى الأمام

إلى الأمام واسحقوا العدوان

إلى الأمام وامحقوا الطُغيان (م.ن، مج 3: 78)

وفي اشعار أخرى يقول الشاعر بأنّ الله تعالى ينصر المجاهدين في ساحة القتال ويمدّهم بجنود في السماء؛ فواجب علينا أن نهاجم العدو بكلّ قدراتنا:

الله في صفّ القتال... يرجم

يسقيهم نار الزوال.. منكم..

من كفكم، من بأسكم، من جندكم

من جنديهِ من السماءِ فَوْقَكُمْ

شدّوا عليهم واضربوا...

وبدّدوهم واضربوا (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 79)

الشاعر يعلن مكانته أمام العدو ويبين بأنه لا يخضع ولا يستسلم أمام الاعداء، ومع شدة المعاناة والنضال والكفاح وهدم البيوت وقهر من أرضه من جانب العدو لا يترك المقاومة وبأيّ طريق يدافع وبأيّ وسيلة يهدّده العدو، فهو لا يئس من الصمود. ويتذكّر بأنّ الذين سيأتون من بعده وفي النهاية سيبنون وطنهم من جديد. فالزمان يظهر للمقاومة والنضال في سبيل تحرير الوطن المسلوب سنابل النصر والعواقب الطيبة:

نحطّم السدود من طريقنا

ونضرم الكفاح من عُروقنا

ونبعث الحياة من شُروقنا

قويّةً، عتيّةً الجذور (م.ن، مج 3: 75)

لا حلّ للقضية الفلسطينية إلّا بالجهاد والكفاح المسلّح. فالشاعر كان يؤمن بالكفاح المسلّح طريقاً ومنهجاً لتحرير الأرض ويبين بأنّه مستعدّ لتضحية نفسه في سبيل الوطن ويطالب بحمل السلاح ولا يرى سبيل إلى استرداد الحقوق واسترجاع الأرض والوطن إلّا به، وهو نذر نفسه في الدفاع عن أرضه وهويته:

صبّوا.. عليهم لعنة السّماءِ

بالموت .. بالدمار بالفناءِ

فلن تعودَ النارُ عنهم أبداً

حتّى تعودَ حرّةً أرضُ الهُدَى (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 80)

إنّ الإنسان الفلسطيني قد نذر روحه لأجل تحرير وطنه، ولا يتوانى عن حمايته ويحرسه بقلبه ووجدانه، ويثبت ويدافع عن مقدّساته ويتحدى المعتدي الغاصب الذي يوشك على

الهزيمة:

على طريق الزحف في كفاحنا الكبير

بروحنا، وبأسنا نجدد المسير (م.ن، مج 3: 75)

رغم شدة المعاناة التي تمرّ بالشاعر فهو لم يفقد أمله والتخلص من هذه المعاناة ومن ظلم المحتلّين، فهو يتأكد على التقدم والمقاومة حينما يكون في انحسار الهمّ والحزن والظلم ولا يرى سوى اراقة الدم وتضحية بالنفس .

4.3. الأمل إلى المستقبل

لقد حارب محمود حسن إسماعيل في شعره المقاوم الانسياق وراء اليأس والقنوط من هبوب رياح التغيير ذلك أنّ الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يحرك الناس وينفخ في جسداهم روح الحيوية والنشاط هو الأمل بالمستقبل المشرق والإيمان بالقدرة على التغيير الذي يُعتبر كخشبة خلاص توصل إلى برّ الأمان، والحرية، والكرامة، وهذا هو الذي يدعمه الإسلام ويدعو إليه، يقول الله سبحانه تعالى في كتابه العزيز ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: 53)

يمتاز شعر المقاومة الفلسطينية بأنّه نشاط فكري مؤثر، يقاوم اسباب الضعف التي تواجه الأمة، إذ ينبه إلى الخطر المهدّد من جانب الاستعمار، ويتجاوز انكسارات الواقع إلى ابعاد تحرّرية، تندرج في إطار ازدياد الوعي الوطني والقومي «وهكذا فإنّ هذا الشعر لم يكن عامل ضعف أو تخاذل، بل تصوير لرفض الفلسطيني للواقع، وإيمان بالقدرة على تغييره، وتعبير عن الألم، وغضب عارم ضد صور القمع، والاضطهاد، والاستلاب، وأمل في استشراق حياة أخرى» (بسيسو، 1983: 18)

يعتبر شاعر المقاومة، الألم والبؤس والحرمان والصمود على المعاناة والثبات والصبر على المشاكل جسراً يستطيع أن يوصله إلى الحرية. إنه يحتمل المرارة بأجمعها أملاً إلى مستقبل

يزدهر فيه شجرة النصر التي يسقيها بدماء أريقت فوق ثرى أرض فلسطين، ويطمئن بأن يوم النصر آتٍ.

ينظر شاعرٌ كمحمود درويش يوم ميلاد أرضه في ربيع النصر، اليوم الذي سوف تزدهر شجرة منبته في دماء الشهداء، ويحتمل الاحتلال بكل مصائبه وآلامه لتحقيق هذا الأمل، ويضع من المشانق ومن صلبان الماضي والمستقبل سلالم للغد الموعود:

سنضع من مشاقنا

ومن صلبان حاضرننا وما فينا

سلاالم للغد الموعود (درويش، 2002: 141)

و مثل هذه الأبيات يستبشر محمود حسن إسماعيل بالمستقل النير بقوله:

قومي... ومهما اشتدت الجراحُ

فكلُّ ليلٍ بعده صباحُ

وكلُّ هولٍ بعده سكينه

تمحو ظلام البغي والضغينه

وترجع الشفاء... للشدو والحياء (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 11)

في هذه الأبيات يستبشر الشاعر بالنصرة أمام الأعداء وبأنه قد يجيء دنوار الصباح بعد ظلمات الليل وقد يطلع السكينة والاستقرار بعد الحرب و الدمار، وبلا شك يزول الظلم والطغيان.

الشاعر يجعل الكلمة سلاحاً يحقق أمانيه وآماله، يخاطب القدس الحزينة ويتحدث عن تحررها من ظل الاحتلال، وبرأيه هذا التحرير لا يتحقق إلا بالصمود والمقاومة والتضحية في سبيل الوطن وبدفع ثمنه من المال والنفوس؛ ويقول للرجوع إلى الوطن لابد من التضحية ودفع ثمنه، وإن التحرير الكامل لا يمكن التوصل إليه إلا بنضال الشعب ذاته من أجل

استقلال وحرية وطنه من سلطة الاستعمار، فالشاعر لا يستسلم بل يدعو إلى الصمود
وإلى المقاومة وخوض معركة التحرير حتى نهايتها:

لا تُوقِفِي الدعاء للرحمان

مَهْمَا لَقِيتِ مِنْ أذى الشيطان

رُدِّي عليه إثمهُ، وقومي

وواصلِي الحديثَ للنُّجوم

فلم تزلْ فيكِ خُطَا الإسراءِ

سابحةً في الطَّهرِ والضياءِ

يا قدسُ... يا حبيبة السماء (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 10)

استعمال الكلمات (الدعاء/ الطهر/ الضياء) يدلّ على حتمية النصر عند الشاعر الذي
يحلم بتحقيق النصر واستمرار الحياة دون سلطة الاستعمار. (الضمور، 2012: 209)

الشاعر يتذكّر بأنّ أيام الحرب وأيام المأساة والألم ذات يوم ينفي ويذهب ويأتي اليوم
الذي الشعب الفلسطيني محرّر من أيّ سلطة من قبل الاعداء والمحتلّين ومن قيود
الاستعمار وينفذ زمن الاستعمار وراثته ويصل الشعب الفلسطيني إلى الحرية ويتذوّق
طعم التحرير كما لا يبقى أي ظلم ظالم إلى الأبد، إنّ بعد كل المشقّات والمصائب يصل أيام
الحلوة. يقول الشاعر:

عَمَّا قَرِيبٍ يَدُ الْقَهَّارِ تُطْلُقُهَا

نَاراً بِهَا عُصْبَةُ الْأَشْرَارِ تَنْدَثِرُ

وَتَسْتَرِدُّ فِلَسْطِينَ بِيَارِقِهَا

مُرْفَرَقَاتٍ بِمَجْدِ النَّصْرِ تَزْدَهَرُ

وَيَمْلِكُ الْعَرَبُ الْأَحْرَارُ أَرْضَهُمْ

والله أعظم... أن الحق منتصر! (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 45)

فلا يملك الشعب الفلسطيني إلا إيمانه وأمله ليقاوم مؤامرة اليهود في هدم بيوته ومقدساته، وعودة المجد والبهاء إلى أرضه.

شاعر المقاومة من جرح احتلال وطنه لا يساوم، بل يقاوم ويمشي على جرحه، ولا يقبل السلام من جانب اليهود ولا يخضع أمام العدو وهو بالتركيز على فعل الإزهار في شعره الثوري ينشئ بأمل التحرر ويبشّر بزوال الاحتلال، ويبشّر بالمستقبل المفعم بالأمل والحياة؛ (الضمور، 2012: 210) وهو باستشهاده يسقى شجرة الحرية والنصر ويكنس في ظلالها الغزاة:

على طريق الزحف في كفاحنا الكبير

بروحنا ، وبأسنا نجدد المسير

نحطّم السدود من طريقنا

ونضرم الكفاح من عروقنا

ونبعث الحياة من شروقنا

قويّة ، عتية الجذور (حسن إسماعيل، 2008، مج 3: 75)

لقد بثّ "محمود حسن إسماعيل" في شعره المقاوم رؤياه الحاملة في زمن جديد وهذه الرؤيا يبعث البشرى بالحرية المنبثقة رغم ظلام الواقع، يقطف ثمار الثورة من طريق النضال والمعاناة التي عاشها الفلسطينيون.

النتائج

يمكن إجمال أبرز النتائج التي قد وصلت الرسالة إليها في هذه الدراسة " لمظاهر الأدب المقاومة في شعر محمود حسن إسماعيل ديوان "التائهون" أنموذجاً في اثناء البحث على

نحو التالي:

- عمر الحرب و المقاومة يكاد أن يناهز و يقابل عمر الانسان على الأرض منذ زمن قابيل و هابيل و مادام واصل حتى الآن. المقاومة حالة ابدية في الانسان، و ليست حالة تاريخية فقط، فالانسان في مسافة الحياة، يتحرك ليحقق احلامه و رغباته، لكنه يصطدم بالعوائق، فيقاوم هذه العوائق ليحقق الأفضل، لكنّه قد يستسلم، فيتحوّل إلى برغى في آلة الحياة لا يقدّم و لا يؤخّر.

- هو شاعر فلسطين، يذكرها كثيراً ويدور كثيراً من شعره باتجاهها، مما يجعلنا أن نصنّفه دون ريب ضمن شعراء فلسطين، ذلك لأنّها تشكل همّه وجرحه الأساسي الذي يدور حوله شعره. و هو يعتقد بأنّ قضية فلسطين ليست قضية أرض فحسب بل هي أيضا قضية انسان وشعب وأمة. لقد كانت القضية الفلسطينية الجرح الذي أشعل الشرارة في وجدان الأمة العربية وحمل الفلسطيني السلاح في كل مكان من أرض الوطن ليغسل بالدم العار والذل والمهانة التي ألحقها المستعمر بشرف الوطن وحرية المواطن.

- احتلت القضية الفلسطينية مركزاً أساسياً في شعر الشاعر على أساس كونها قضية العرب المركزية الأولى والشاعر كان ناطق بلسان حال الشعب الفلسطيني والانسانية بأسرها وكتب حول فلسطين وحي هوية شعبها.

- الشاعر محمود حسن إسماعيل أحد الشعراء الذين يعتبر شعره مرآة لظروف حياته ومجد فلسطين، فأكثر مضامين شعره يدور حول فلسطين والاحتلال.

- لوحظ أنّ المقاومة تثير روح التحدي والصمود في النفوس وهي قدرة على الصمود والبقاء ورفض التعاون مع العدو بأي شكل من الاشكال. وأدب المقاومة هو كل أدب يعني بالحرية ضد الاستبداد والاستكبار معا وهو الأدب الذي يرتبط بالدفاع عن الحرية والحياة ويسعى لإذكاء روح المقاومة والوعي لدى العامة ويقوي دعوته يحثّ الناس على العمل وانتباههم. و أصبح الشعر سلاحا من اسلحة المعركة التي تخوضها الأمة العربية ضد الاستعمار والصهيونية؛ الشعر الذي يشعل في القلوب جمرات الثار.

- إنَّ محمود حسن إسماعيل هو أحد أركان أدب المقاومة وهو ملتزم بقضايا فلسطين كبيتته الثاني للشاعر والدفاع عنها.
- هو الشاعر المصري ولكن هو الذي حمل على عاتقه اعناء القضايا التي حدثت في فلسطين زمنا طويلا وخاطر بحياته من أجلها ونذر إبداعاته على الدفاع عنها.
- التزم الشاعر بقضيته، قضية الشعب الفلسطيني، وتعاطف مع هذا الشعب في ديوانه التائهون، وهو يأخذ بعدا انسانيا يدل على موقف الشاعر من الانسان والحياة والكون ومعاناة الانسان العربي في فلسطين، تعكس معاناة الانسان المضطهد في أرضه ووطنه في أي مكان من العالم.
- هو الشاعر الذي عاصر مواجهة الانسان العربي الفلسطيني لقوى الظلم والقهر في فلسطين المحتلة، يصدر في شعره عن رؤية واضحة ذات بعد انساني عميق، وهو لسان الأمة المعبر عن قضاياها المصرية، وآلامها وتطلعاتها وفي معظم شعره يصور معاناة الانسان الفلسطيني في مواجهة العسف الصهيوني.

المصادر والمراجع

العربية

- القرآن الكريم
- إسماعيل، محمود حسن (2008م). الأعمال الكاملة، ثلاث مجلدات، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- بسيسو، معين (1983م). الاعمال الشعرية الكاملة، بيروت: دارالعودة، لامط.
- بلمشري، مصطفى (2009 م). القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر، ارشيف: أدباء وشعراء ومطبوعات.

- جمعة، حسين (2009م). ملامح في الأدب المقاوم فلسطين نموذجاً، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق.
- الحبازي، عبدالرحمن (2009م). «اتجاهات شعر الطفل في الشعر الفلسطيني المعاصر»، مجلة جامعة القوس المفتوحة للأبحاث والدراسات.
- زعتير، أكرم (1986م). القضية الفلسطينية، الطبعة الثالثة، عمان: دارالجليل للنشر.
- زيني وند، تورج (1390هـ.ش). «مظاهر أدب المقاومة في شعر جوزف الهاشم»، مجلة أدب المقاومة، جامعة الشهيد باهنر بكرمان، العدد 3، 4، صص 277-297.
- شكري، غالي (1970م). أدب المقاومة، الطبعة الأولى، القاهرة: دارالمعارف.
- الضمور، عماد عبد الوهاب (2012م). «لمقاومة في شعر علي فودة»، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الانسانية، المجلد 20، العدد الثاني، صص 195-214.
- عف، عبد الخالق وحنفي، معاذ (2008 م). «البواعث الموضوعية في شعر الأسرى الفلسطيني»، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، العدد 1، صص 1-40.